



10 عبادات وطاعات يمحو الله بها الخطايا □

على طريق التوبة من الكبائر..

التوبة إلى الله اصطلاحاً تُطلق على الرجوع إلى الله -عزَّ وجلَّ- والعودة عن أي ذنب اقترفه وسلوك الطريق الذي أمر الله به ومن عرفه أهل العلم بأنها ترك الأفعال المذمومة وإبدالها بالأفعال المحمودة بمختلف الطرق المشروعة فيما اجمع كثير من أهل العلم بأنها الرجوع إلى الله -تعالى- الذي يعلم الغيب ويستتر العيوب.

وهناك إجماع كذلك بين الفقهاء بأن التوبة من الذنوب بمجملها تتم بالرجوع والإقلاع التام عن ارتكابها وعقد العزم والإصرار على عدم العودة إليها مرةً أخرى بعد التوبة والندم على ما مضى من الوقوع في الذنب والابتعاد عن الطاعات والعبادات فمثلًا التوبة من الشرك بالله -تعالى- بتوحيده والمحصر على التقرب منه وإخلاص النيّة له وعدم اتّخاذ مُعين أو وليٍّ أو ناصرٍ غيره -سبحانه- هذه طرق التوبة من الكبائر

وتتحقق التوبة إلى الله من المعاصي كذلك بالسعي إلى كسب رضاه واتّباع ما أمر به والابتعاد عن كل أمر نهى عنه وعدم اتّخاذ المشركين أولياء أم من كان منافقاً وأراد أن يتوب فتتحقق توبته بالتمسك بدين الله -تعالى- ومحاولة تنقية دينه وإيمانه بالله من الرياء ومن كان فاسقاً بالعمل أو العقيدة فعليه أن يمثل طاعة الله -تعالى- وأن يهجر المعاصي التي كان يرتكبها ويقهر شهوته وطباعه بقوة إيمانه بالله -تعالى-.

والمأمر ذاته يتكرر عبر الخشية من عذاب الله والرجاء لطاعته وعبادته ورحمته ومن كان يتعامل بالربا فعليه أن يتركه ويبتعد عن أي معاملة ربويّة ويتخلّص من كل ما لديه من أرباح نتجت عن الربا بعد أخذ رأس المال وإن كان الذنب مُتعلّقاً بظلم الآخرين بالمال أو العرض أو الدم فيتوجب عليه أداء ما عليه من حقوق لهم.

وكان التابعون وتابعو التابعين يحبذون أداء المسلم □ لصلاة التوبة □ إلى الله إذ تاب من ذنب ما سواءً أكان من المصغائر أم الكبائر عبر أداء ركعتين عند التوبة من الذنب ولما يشترط أن تكون بعد الذنب مباشرةً مستدلين على ذلك □ بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً في توضع في الطهور ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله تعالى إلا غفر الله له ثم تلا والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم وكذلك يجب على المؤمن أن يبادر بالتوبة قبل أن يغلق بابها بحضور الموت أو نزول العذاب أو طلوع الشمس من جهة المغرب.

وإن كان تكفير الذنوب الصغيرة يتم بالاستغفار والمصلوات والاكثار من طاعات معينة فإن من الثابت أن التكفير عن الكبائر لا يتم إلا بالتوبة بخلاف المصغائر التي تكفر بعدة طرق كالصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة وغيرهما من الطرق حيث أشارت العديد من النصوص الشرعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية في بيان تكفير الذنوب ببعض الأعمال المصالحة لا تشمل إلا المصغائر دون الكبائر.

*ما هي الكبائر؟

وروي عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَ عَ

رَكَعَتَيْنِ لَمْ يَحْدِثْ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ إِذْ وَرَدَ الْمُتَقَيِّدَ بِالصَّغَائِرِ فِي رَوَايَاتٍ أُخْرَى إِلَّا أَنَّهُ يُخَفَّفُ فِي الْكِبَائِرِ عَنِ الْمَذْنِبِ فَلَا تَوْجِدُ نصوصَ شرعية تدلُّ دلالة واضحة على تكفير الكبائر بتلك الأعمال.

وقد اجتهد كثير من الفقهاء في الإشارة إلى أن الكبائر هي كل ذنب يرتكبه العبد ويتربط عليه بسببه وعيد شديد ثبت بكلام الله تعالى- أو بسنة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وقد عرف بعض أهل العلم الكبيرة بأنها: كل ذنب قرن ذكره بنار أو غضب من الله تعالى- أو لعنة أو عذاب أو حد أو نتجت عنه العديد من المفاسد.

وقد تعددت آراء أهل العلم في تحديد عدد الكبائر فقال بعضهم بأن لها سبع استدللاً بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: اجْتَنِبُوا الْمَسْبُوعَ وَالْمَوْبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الْمُشْرِكُ بِاللَّهِ وَالْمَسْحُورُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالْمَتَوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ وَذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- أَنَّهَا سَبْعُونَ لَيْسَتْ سَبْعًا وَذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهَا لَا تَحْصُرُ فِي عَدَدٍ مَعِينٍ بَلْ إِنَّ كُلَّ ذَنْبٍ تَرْتَبَ عَلَيْهِ عَذَابٌ أَوْ تَهْدِيدٌ أَوْ لَعْنٌ أَوْ غَضَبٌ يُعَدُّ كَبِيرَةً.

وقد وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية إشارات قوية على أعمال وطاعات تكفر كبائر الذنوب حيث ذكر في الأثر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخبرنا عن حزمة من الأعمال التي تكفر كبائر الذنوب وبها يمحو الله سبحانه وتعالى خطايا العبد ويرفع درجته.

أول هذه الأعمال التي تدعم توبتك عن الكبائر بر الوالدين حيث يعد من الأعمال التي تكفر كبائر الذنوب فقد قال الإمام أحمد -رضي الله تعالى عنه-: بر الوالدين كفارة الكبائر وكذلك إسباغ الموضوء على المكاره وكثرة المشي إلى المساجد والحرص على أداء الصلاة في وقتها وانتظار الصلاة تعد أعمال تكفر كبائر الذنوب ويمحو الله عز وجل بها الخطايا ويرفع درجات العبد.

*أعمال وطاعات تكفر كبائر الذنوب

وفي هذا السياق ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نَزْلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لِكَلِمَةٍ غَدَا أَوْ رَاحَ وَقَالَ: أَلَا أُدَلِّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الْمَرَجَاتِ؟ قَالَُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخَطَايَا وَإِنْ تَطَارَ الْمَصَلَّةُ بِعَدِّ الْمَصَلَّةِ فَدَلَّكُمْ الْمَرْبَاطُ.

المصدق أحياناً من الطاعات التي تدخل صاحبها من الكبائر ومنها دخول المنار إن كان من أهل الكبائر أليس قال الرسول صلى الله عليه وسلم: اتقوا النار ولو بشق تمرة رواه البخاري وغيره وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المصلاة نور والمصيام جنة والمصدق تطفئ الخاطئة كما يطفئ الماء النار والחסد يأكُل الحسنة كما تأكُل النار الخيط نور.

ولما يغيب عن هذه العبادات والطاعات للتوبة من كبائر الذنوب المحج باعتبارها من مكفرات الذنوب فروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

المتسامح والعفو حاضران بقوة ضمن مكفرات الذنوب فقال تعالى: وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ المتغابن: 14 والعفو والمصفح سبب للتقوى قال تعالى: وَأَنْ تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ الْيَقْرَةَ مِنَ الْآيَةِ: 237

والعفو والمصفح من صفات المتقين كما أنه من أعمال تكفر كبائر الذنوب قال تعالى: وَسِرُّوا إِلَيْكُمْ غُفْرَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . آل عمران: 133-134 .

المصبر على الشدائد كذلك من الطاعات التي تكفر كبائر الذنوب فعن أبي سعيد الخدري قال تعالى: إِنَّ مَا يُؤْفَى الْمَصَابِرُونَ

أجرهم بغير حساب الزمر 10 وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما يصيب المسلم من نصب ولا

وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى المشوكة يشمكه إلا كفر الله به من خطاياهم كما أن كفالة اليتيم جاء ضمن

أعمال تكفر كبائر الذنوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بإصبعه السبابة

والموسطى .